٢٦١

فارسل ديوان اسبانيا المهندس ادريان بوط من اجل رؤية تلك البحيرة واصلاحها من الـ
المكتشف عليها ولما كشف عليها وجدها غير كافية او موفية بالمقصود فشرع في اصلاحها
انه خاب في اشغاله من توصيلها الى الدرجة المقصودة فانه في سنة ١٦٢٩ حصل فيضان
اخر غرقت فيه المدينة وكان في سنة ١٦١٤ حصل المطر شديدا جدا فوق العادة فامر
مارتينز المهندس بقفل ابواب فم البحيرة ومن المحتمل انه كان يقصد بذلك اهمية البحيرة عند
الاهالي مع ان اهميتها ما كانت مجهولة لهم فكانت عاقبة سد الفم مهولة مرجفة وغرقت
عموم المدينة واستمرت ارضها تحت المياه مدة خمس سنوات كان الاهالي ينتقلون الى منازلهم
ويسيرون في شوارعهم بواسطة قوارب واودعت الحكومة مارتينز المهندس في السجن
ثم افرجت عنه لاجل فتح سد فم البحيرة ففتحه وانشأ رصيفا قويا لحجز الفيضان والا لما
زال كما كان حاصلا واخيرا بدلت عموم هذه الاشغال بفتح خليج او مقطع كبير بدل هذه
البحيرة حصل الشروع في شغله سنة ١٧٦٧ وتم في سنة ١٧٨٩ بعد الميلاد فتولد من تصريف
المياه بهذا الشق وبتبخيرها من حرارة الجو ان صارت بحيرة مكسيكو العريضة طمى واراضي
وصارت المياه المحيطة بمدينة طينوشطيطلان بوسقع بدلا لكونها عبارة عن مستنقع مالح
او اراضي السبخة
ومات فيليب الثالث وخلفه ابنه فيليب الرابع وصرف اموال مكسيكا مع غاية التبذير والاسراف
وكذا اموال بيرو على ندماه وسراريه وهياج الحروب الضعيفة العاجزة على انكلترة
وهولندة وفرانسا ثم مات هذا وترك السلطنة لابنه شارل الثاني ومات شارل المذكور
في سنة ١٧٠٠ بعد الميلاد من دون وارث ورثه في تخته فابتدأت الحروب المهولة الوراثية
التي تولد منها ارتباك عموم اوروبا واشتباكها في بعضها وانتهت بانقراض بيت اوستريا
وكان الملك الذي حصل له النصر بوربونيا هو فيليب الخامس واستمر البوربونيين
متسلطنين في اسبانيا الى اواخر منتصف القرن الحالي اي التاسع عشر الا ان مكسيكا
ما كانت تداخلت في الحروب الوراثية بل انه في وقت موت شارل الثاني كان العامل
فيها فونت دو موكتيظومه واخذ لقبه هذا من زوجته كونها كانت من بنات الملك
منتظومة اخر ملوك الازطيقيين فما حصل عند هذا العامل ارتباك من الاعمال التي
كانت جارية في اوروبا وسار في احكامه مع الحزم والتؤده والتدبير منتظرا حصول
نتيجة العاقبة وقيل ان فيليب البوربوني في وقت ما ضاقت عليه الارض بما رحبت
هرب من مصاعب المملكة وهاجر الى مكسيكا ومما يستحق ذكره في التاريخ هنا من العمال
فونت دو ريبيلاجيجدو الدون حنا وبستطي دو غونيش باشيكو دو پاديلا
فانه وجد المدينة في سنة ١٧٨١ بعد الميلاد في حالة رديئة مهينة من عموم وجود الاوخام
فيها وعدم تصريف المياه وتخيير سككها وشوارعها وكان فيها من الروائح التي كانت منفرة
العمال مشتغلا بذلك ومصاطب لتنب الهنود ويعن عليها مواد الاكواخ فاصلح هذا
العامل كل ما رآه من الخلل ونظم المدينة في منوال ظريف وكان هو فرا محمدا ما في احكامه
عادلا حازم الراي شديد البطش مرعبا في احكامه حكى عنه عدة نوادر وقعت في ايام
حكومته فقيل انه كان يطوف متخفيا مثل ما كان يفعل منتظومه وهارون الرشيد في
ايام سلطنتهما وكان يطوف مع واحد او اثنان من حواشيه حتى اذا راى عيبا اصلحه
او حرفا في احكامه سده وكان يطوف ذات ليلة في شارع صان فرنسيسكان فقابل
راهبا يختال في شهواته من ابواب عز المرخص فيها للرهبان بعدم الخروج من ديورهم
ومحال رهبانيتهم فتوجه مباشرة الى الدير واظهر نفسه فقابله رئيس الدير مع الاحترام
اللازم له فقيل عنه كم عندك ايها الاب في ديرك من الرهبان فاجابه خمسون يا صاحب
الدولة فقال له الان موجود في الدير تسعة واربعون راهبا فقط فانظر الغائب منهم
حتى تعرف اسمه فاخرج رئيس الدير القائمة المندرج فيها اسما الرهبان وناداهم فوجد
الموجود منهم تسعة واربعون نفسا وصدر امر من العامل بعدم قبول الخمسين مرة
ثانية في الدير ومنعوا من الدخول فيه وكذا حضر امام هذا العامل رجل فقير هندي
وحكى له انه في ضيق شديد بسببه تهمة ان نقود سرقها وقال له انه وجد كيسا مملوءا
من قطع الذهب في شارع كان مارا فيه ثم راى في الاعلان معلقا موعود فيه
بجائزة عظيمة لكل من وجد الكيس وسلم الى صاحبه فحمل الكيس بما فيه من الدراهم الى

تاريخ امريقة البحر الزاخر محمود فهمي

٢٦١

الى الشخص صاحب الكيس المذكور في الاعلان فاخذ الدون الكيس وعد النقود
الموجودة فيه وفي اثناء عده اخذ قطعتين من الذهب ووضعهما في جيبه من دون ان
يراه الهندي واتهمه في كونه سرق البعض من نقوده وطرده من بيته بصفة انه حرامي
خبيث محتال فامر العامل الهندي بالانتظار وارسل مباشرة في طلب الدون فلما حضر
عنده طلب منه ان يقص عليه الواقعة فقال الدون اطال الله عمر دولتكم انا فقدت
كيسا مملوءا من الذهب وهذا الرجل الهندي اتى به الي املا في طلب مكافأة غير
انه سرق بعضا من قطع الذهب فطردته من منزلي فقال له العامل ما كان مقدار
القطع التي كانت موجودة في كيسك فاجابه ثمانية وعشرون قطعة والان ما مقدار
الموجود هنا فاجابه ستة وعشرون فقال له عدها حتى انظر ما تقول فعدها فقال
له العامل نحن الاثنان في خطأ بين لو كان الهندي لصا محتالا ما كان حضر بالكيس
اليك واخذ منه قطعتان بل كان يأخذه جميعه فاتضح بداهة ان هذا ليس كيسك
بل هو كيس واحد غيرك وجده هذا الهندي المسكين فاذهب انت وفتش على
كيسك بنهارك سعيد ثم سلم الحاكم قطع الذهب وناولها للهندي وقال له خذها
انت لنفسك وله نوادر غريبة مثل هذه ونظم ادارة المملكة واعمالها وعلى الخصوص
مدينة مكسيكا واستمرت في احسن الحالات بسبب ما ادخله فيها من النظام واستتباب
الامن والراحة ثم حصل له قلقلة وارتباكات من بعض اعداه فتوجه الى اسبانيا في سنة
١٧٩٤ بعد الميلاد واستمرت مكسيكا في ظرف القرن السادس عشر والسابع عشر ليس لها
موضع ظريف يوصف به لكون تاريخ المملكة كان يشبه حائط ظريف البياض الا انه
مشحون بظلمات فوق ظلمات والنواحي المشحونة باعمال مهيجة وكان النواب او العمال الذين
حكموا مكسيكا اربعة وستون نائبا اولهم الدون انطونيو منذوزه في سنة ١٥٣٥
واخرهم حنا دو تونو في سنة ١٨٢٢ بعد الميلاد استمروا نحو ثلاثة قرون حاكمين
في اسبانيا الجديدة وكانت احكامهم على حسب نور عقولهم وعقول الذين كانوا تحت
سلطتهم من الملوك ومع ما كانت عليه اسبانيا من سوء التدبير والادارة في مكسيكا
خلاف المملكة الاسبانية استمرت في اصلاح نفسها رغما عما كانت عليه اسبانيا من سوء السياسة
التي اتخذتها بقصد تيسيرها الحصول فقط على كنوز واموال لا على استتباب راحة وانتظام
الاحوال وفي مبادي القرن الحالي اي القرن التاسع عشر كانت في اسبانيا الجديدة جمعيات
مشكلة من اربع طوايف مغايرة لبعضها في الميل والمنفعة وهم الهنود الاصلية الخ
والمولودين في امريقة اي ذراري السكان والمهاجرين القديمة الاسبانيول والمولودين
من البيض والسود اي من الهنود والاسبانيين والاسبانيين المولودين في اوروبا
وقد كانت حالة الهنود تغيرت الا قليلا تحت احكام العمال وكانوا يرغمون على دفع
الخراج وكانوا في شدة وضيق حال وكروب ما كانوا يعتقدوا منها الا بالموت وكان
اشراف الهنود او حكامهم مستثنون من الاعمال والاثقال التي كانت محملة فوق ظهور
الهنود الاخرين واما المولودين في امريقة من اقدم المهاجرين الاسبانيين فكانت عوايدهم
كانت اخذا في الزيادة وصارت حالتهم مجهولة بالكلية في السياسة الاسبانية واهملت
حقيقة موضوعهم واخرجوا من كافة خدمات الحكومة ومن خدمات الجيش وصاروا غير
مستحقين الاشتغال عند حكام الاسبانيين وفي مثل هذه الاعمال والخدمات كان تيسير
الحصول للانسان على الثروة ولقب الشرف فصرف النظر عن هوى الناس واحتوشت
الحكومة الاسبانية اوامرها بدون حزم بالترخيص للاسبانيين خاصة بالقبض على
زمام انواع الحكومات في مكسيكا عمومية كانت او خصوصية فكان لا بد ان يتولد
النفور عند طايفة المولودين في مكسيكا مع ما حصل لهم من الاحتقار والظلم واشمئزوا
منها وشرعوا في تحضير جمعيات عصيان جهرة تولد منها ثورات كبيرة ومن ثم ما كانت
مكسيكا ان تنفصل على حالها بالاعمال المهيجة الحاصلة من اسبانيا في مدة حصول الوقايع
والهيجان فيها وتولد من التغييرات التي حصلت في اوروبا وارتجت منها ممالكها زوبعة
انجرت عواصفها وعمت مياه امواجها مع الشدة والعنف على سواحل هذا الاقليم القاصي
وانه من بعد موت فيليب الخامس حكم اسبانيا ثلاثة من اولاده على التعاقب وكان
اخرهم شارل الثالث جلس على التخت الى سنة ١٧٨٨ بعد الميلاد وكان حاذقا اليف
الطوية ممدوح الخصال وفي مدة حكمه وصلت المملكة الى درجة نجاح وفلاح ما بلغته

خطة السياسة الاسبانية

الثورات

Copyright © King Saud University